

أسفار موسى الخمسة

الأب يعقوب

الدرس
التاسع



خدمات الألفية

الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيٍّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، و ذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والمندرين الصينية، والعربية). ونوزع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنْتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

I .I المقدمة

II .II البنية والمحتوى

أ. بداية الصراع

ب. نهاية الصراع

ج. اسحاق والفلسطينيين

د. يعقوب والكنعانيين

هـ. الانفصال العدائي

و. الانفصال السلمي

ي. الوقت مع لابان

III .III المواضيع الرئيسية

أ. نعمة الله لإسرائيل

١. المعنى الأصلي

٢. التطبيق المعاصر

ب. ولاء إسرائيل لله

١. المعنى الأصلي

٢. التطبيق المعاصر

ج. بركات الله لإسرائيل

١. المعنى الأصلي

٢. التطبيق المعاصر

د. بركات الله من خلال إسرائيل

١. المعنى الأصلي

٢. التطبيق المعاصر

IV .IV الخاتمة

أسفار موسى الخمسة

الدرس التاسع

الأب يعقوب

المقدمة

هل حدث أن عرفت أناساً مُخادعين، يبدو أن الأمل في تغييرهم شبه معدوم؟ قد يُفيدهم خداعهم وعدمُ أمانتهم، على الأقل على المدى القصير، لكن في كثيرٍ من الأحيان سيجعلهم الخداع أسوأ مما كانوا. لكن من دواعي السرور، أنه عندما يريد الله أن يستخدمَ مثل هؤلاء الناس بطرقٍ خاصة، لن يكونوا بعيدين عن متناولِ يده. فسيجلبُ الله المصاعبَ في حياتهم ليجعلهم متواضعين، ويشكّلُ منهم أشخاصاً على استعدادٍ لخدمته. وفي أغلبِ الأحيان، هؤلاء الذين يتعاملُ معهم الله بهذه الطرق، ينتهي بهم الأمرُ بأن يصبحوا قُدوةً في التواضعِ والإيمانِ للآخرين.

إن هذا الدرسَ مخصّصٌ لجزءٍ من أسفارِ موسى الخمسة ويُركّزُ على أحدِ أكثرِ الناسِ خداعاً في الكتابِ المقدس، "الأب يعقوب". لكن كما سنرى لاحقاً، إن هذا الجزء من التكوين ٢٥: ١٩-٣٧: ١، لا يكشفُ فقط كيف كان يعقوبُ مخادعاً، لكن أيضاً كيف جعله الله متواضعاً وشكّله ليصبحَ واحداً من أعظمِ آباءِ إسرائيل.

رأينا في دروسٍ سابقةٍ أنه يُمكنُ تقسيمُ سفرِ التكوينِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ رئيسيةٍ. يتناولُ القسمُ الأولُ التاريخَ البدائيَ وذلك من التكوين ١: ١-١١: ٩. يشرحُ موسى هنا كيف أن دعوةَ إسرائيلِ إلى أرضِ الموعدِ كانت مُتجدّرةً فيما حدثَ في المراحلِ المُبكّرةِ من تاريخِ العالم. أما القسمُ الثاني، فيُعطي تاريخَ الآباءِ الأقدمِ في التكوين ١١: ١٠-٣٧: ١. أوضحَ موسى، في هذا القسم، كيف ينبغي النظرُ إلى الرحلةِ إلى أرضِ الموعدِ في ضوءِ خلفيةِ حياةِ كلِّ من إبراهيم وإسحاق ويعقوب. القسم الثالث هو تاريخُ الآباءِ المتأخّرِ في التكوين ٣٧: ٢-٥٠: ٢٦. في هذه الأعداد، يُروي موسى قصةَ يوسف وإخوته لمعالجةِ قضايا نشأت بين أسباطِ إسرائيل أثناء تحركهم نحو أرضِ الموعد.

إن سِجلاً الأبِ يعقوب هو جزءٌ من القسمِ الثاني، تاريخُ الآباءِ الأقدمِ، الذي يتناولُ ثلاثةً من آباءِ إسرائيلِ البارزين: إبراهيم، وإسحاق ويعقوب. وتمت صياغةُ أحداثِ حياةِ إسحاق في سِجْلِ إبراهيم في التكوين ١١: ١٠-٢٥: ١٨، وأيضاً في سِجْلِ يعقوب في التكوين ٢٥: ١٩-٣٧: ١. لذلك سنركّزُ في هذا الدرسِ على النصفِ الثاني من هذا القسم: حياةُ يعقوب.

ينقسمُ درسنا حول الأبِ يعقوب إلى قسمين رئيسيين. أولاً، سنفحصُ بنيةَ ومحتوى هذا الجزء من التكوين. ثم سننظرُ في المواضيعِ الرئيسيةِ التي ركّزَ موسى عليها لقراءته الأصليين، وكيفيةِ

تطبيق هذه الموضوعات على المسيحيين في عصرنا. لنبدأ بالنظر في البنية والمحتوى لسيرة يعقوب.

البنية والمحتوى

إن معظم دارسي الكتاب المقدس هم على دراية بأحداث سيرة حياة يعقوب. لكن في هذه المرحلة من درسنا، نرغب في رؤية كيف رتب موسى سجل هذه الأحداث في سفر التكوين. تذكر أنه عندما نقرأ الكتاب المقدس، يجب أن نسأل ماذا يقول وكيف يقوله، على حد سواء. وبعبارة أخرى، كيف يعمل محتوى وبنية كل نص معاً؟ ففهم هذه العلاقة يساعدنا في إدراك مقاصد كتاب الأسفار المقدسة، بالنسبة لقراءهم الأصليين. وذلك يساعدنا في معرفة كيف ينبغي تطبيق نصوصهم في عالمنا المعاصر.

هناك طرق عديدة لتقسيم جزء من الكتاب المقدس حتى لو كان طويلاً ومعقداً مثل التكوين ٢٥: ١٩-٣٧: ١. لكن من أجل أغراضنا، سنحدّد سبعة أقسام رئيسية لسجل حياة يعقوب.

- القسم الأول هو ما يُمكن أن نسميه بداية الصراع في التكوين ٢٥: ١٩-٣٤. وهو يناقش المشكلة المثيرة للصراع بين يعقوب وعيسو، ولاحقاً بين الشعوب التي انحدرت منهما. وكانت حدة هذا الصراع تشتد وتخف طوال سجل حياة يعقوب. وفي نهاية هذا القسم الأول، نجد انتقال بطولية الرواية من يعقوب وعيسو إلى أبيهما إسحاق.
- وينتقل القسم الثاني إلى اللقاءات السلمية بين إسحاق والفلسطينيين، في التكوين ٢٦: ١-٣٣. وينتهي هذا القسم بالعودة إلى عيسو ويعقوب كشخصيات رئيسية.
- يتناول القسم الثالث الانفصال العدائي بين يعقوب وعيسو في التكوين ٢٦: ٣٤-٢٨: ٢٢. وينتهي هذا القسم بانتقال يعقوب إلى لابان وأقربائه خارج أرض الموعد.
- يصف القسم الرابع الوقت الذي أمضاه يعقوب مع لابان في التكوين ٢٩: ١-٣١: ٥٥. وينتهي هذا القسم بعودة يعقوب إلى أرض الموعد.
- ويروي القسم الخامس أحداث الانفصال السلمي بعد عودة يعقوب إلى أرض الموعد، في التكوين ٣٢: ١-٣٣: ١٧. ثم ينتقل هذا القسم من عيسو إلى علاقات يعقوب مع خصومه الكنعانيين.
- أما القسم السادس، فيركّز على المواجهات بين يعقوب والكنعانيين في التكوين ٣٣: ١٨-٣٥: ١٥. في نهاية هذا القسم، يتم تسليط الضوء على ذرية يعقوب.

- أخيراً، يخبرنا القسم السابع من سيرة يعقوب عن نهاية الصراع بين الأخوين في التكوين ٣٥: ١٦-٣٧: ١.

أشارَ عددٌ من المُفسِّرين أن هذا التقسيمَ الأساسي لسيرة حياة يعقوب يُشكِّل على نطاقٍ واسعٍ توازناً متقابلاً، وهو:

بُنيةٌ أدبيَّةٌ فيها تتقابلُ أو تتوازنُ الأقسامُ، الواردةٌ قبلَ وبعدَ النقطةِ المركزيَّةِ، فيما بينها.

في كلِّ مرَّةٍ ننظرُ فيها في تقسيمٍ لجزءٍ من العهدِ القديمِ، يجب أن نُبقي في ذهننا أن كُتَّابَ الأسفارِ المقدسة، باستثناءاتٍ نادرةٍ، لم يكتبوا قصصهم، أو أشعارهم، وفي ذهنهم تقسيمٌ معيَّنٌ. كأن يقول أحدهم: "أنا أكتبُ الآنَ القسمَ الأولَ، أنا الآنَ في القسمِ الثاني، أنا الآنَ في القسمِ الثالثِ". عوضاً عن ذلك، ينظرُ المفسِّرونَ إلى نصوصٍ مكتوبةٍ ويجدونَ أنماطاً أدبيَّةً يمكنُ التعرفُ إليها. وهذا يعني أن كلَّ تقسيمٍ يستخدمُ معياراً محدداً لتحليلِ البنيةِ الأدبيَّةِ والروابطِ المنطقيَّةِ. وبحسبِ المعيارِ المستخدمِ يتمُّ التوصلُ إلى تقسيماتٍ مختلفة. إن أحدَ المعاييرِ التي يمكنُ استخدامها هو التوازنُ، أو الإصداءُ، أو التعاكسُ، أو التوازي بين الأجزاءِ السابقةِ والأجزاءِ اللاحقة. لكن عندما يوجدُ أجزاءً متوازيةً أكثرَ تفصيلاً، مثلاً بينَ الجزءِ الأولِ والجزءِ الأخيرِ كما هو الحالُ في قصةِ يعقوب، عندها تصلُ إلى مرحلةٍ يكون فيها كمٌّ كافٍ من هذه الأجزاءِ المتوازية، فيمكنك تسميتها توازياً متقابلاً مقصوداً. وتصورُ الكاتب يقول في نفسه: "لقد رويت هذا الجزء. ورويت هذا الجزء. ورويت هذا الجزء في القسمِ الأولِ، الآن سأسردُ أجزاءً لها روابطٌ شديدةٌ بالقسمِ الأولِ". وبسببِ هذه الروابطِ التي نتجت عن هذه البنيةِ الأدبيَّةِ، لدينا الفرصةُ لكي نقارنَ ونباينَ بين الأجزاءِ المترابطة. إن هذا الأمرُ ذو قيمةٍ عندما نقرأُ سيرةَ يعقوب. فالأجزاءُ الأولى في حياةِ يعقوب ترتبطُ بالأجزاءِ المتأخرةِ في حياته. وعندما نرى هذه الارتباطاتِ التي تنطوي على تبايناتٍ وتشابهاتٍ تبرزُ فجأةً بين تلكِ الأجزاءِ المتنوعة، تسنحُ لنا الفرصةُ عندئذٍ، لنرى ما يشدُّ عليه موسى ككاتبٍ في كلا الجزأين. إن التشابهاتِ والتبايناتِ هي المفتاحُ لفهمِ مغزى

التوازي المتقابل.

— د. ريتشارد برات، الإبن

- كما أشرنا منذ قليل، يَسرُدُ القسمُ الأوَّلُ في سيرةِ يعقوبِ بدايةً الصراعِ بينَ الأخوينِ يعقوبِ وعيسو. ويتوازُنُ هذا الجزءُ مع القسمِ السابعِ والأخيرِ، حيث نقرأُ عن نهايةِ الصراعِ بينهما. ولا يتناولُ القسمانِ الصراعَ بين الأخوينِ فقط، بل أيضاً بين الشعبينِ المنحدرين منهما.
- يركِّزُ القسمُ الثاني على إسحاقِ وتعاملاته مع الفلسطينيين. وهي تتقابلُ مع القسمِ السادسِ حيث نرى يعقوبَ وتعاملاته مع الكنعانيين. ويتوازُنُ هذان القسمانِ فيما بينهما لأن كلاهما يصفُ مواجهاتٍ حدثت بين اثنين من الآباءِ وجماعاتٍ أخرى في أرضِ الموعدِ.
- يسجِّلُ لنا القسمُ الثالثُ الانفصالَ العدائِي بين يعقوبِ وعيسو. وهو يتوازُنُ مع القسمِ الخامسِ حول الانفصالِ السلمي بين يعقوبِ وعيسو. ومن الواضح أن كلا القسمين يركِّزانِ على تطوراتِ العلاقاتِ المُحيطةِ بالفترةِ التي افترقَ فيها الأخوينِ.
- وأخيراً، يتناولُ القسمُ الرابعُ الوقتَ الذي أمضاهُ يعقوبُ مع لابان. ويقفُ هذا القسمُ مُنفرداً كالمركزِ أو المِفصلِ لبُنيةِ التوازي المتقابلِ. وهكذا يشكِّلُ هذا القسمُ نقطةَ التحولِ في سلسلةِ أحداثِ سيرةِ يعقوبِ.

وبينما نُبقي هذا التصميمَ المُتناظِرَ الشاملَ في أذهاننا، نقومُ بفحصِ محتوى الرواية التي وضعها موسى عن طريقِ مقارنةٍ ومقابلةٍ كلِّ زوجين من الأقسام. ولإفادةٍ سنبدأُ بالقسمين الأبعدِ عن بعضِهما ونشقُّ طريقاً نحو القسمِ المُتوسِّطِ. لننظرَ أولاً في بدايةِ الصراعِ بين الأخوينِ في التكوينِ ٢٥: ١٩-٣٤.

بداية الصراع (تكوين ٢٥: ١٩-٣٤)

يتكوَّنُ هذا الجزءُ من ثلاثةِ أحداثٍ بسيطةٍ تُبيِّنُ كيف بدأ الصراعُ بين الأخوينِ. جرت الحادثةُ الأولى قبل ولادةِ التوأمين، في التكوينِ ٢٥: ١٩-٢٣. ويخبرنا هذا القسمُ أن التوأمين تصارعا في رَجْمِ أمهما.

استمع إلى التكوين ٢٥: ٢٣ حيث شرح الله الصراع قبل الولادة لرفقة هكذا:

فِي بَطْنِكَ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْسَائِكَ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ. (التكوين ٢٥: ٢٣)

وكما نرى، قال الله إن الصراع بين يعقوب وعيسو هو أبعد بكثير من مجرد صراع شخصي بين أخوين. فهو يُنذر بصراع بين "أمتين" أو "شعبيين". ولكن، عن أي أمتين يتحدث الله؟ نجد الإجابة عن هذا السؤال في الحادثتين الثانية والثالثة في هذا الجزء.

تخبرنا الحادثة الثانية عن صراع الأخوين عند الولادة في التكوين ٢٥: ٢٤-٢٦.

يُقدّم لنا هذا النص القصير أول تحديد لهويّة الأمتين المشار إليهما سابقاً. حيث يصف التكوين ٢٥: ٢٥ الطفل المولود البكر، عيسو، "بأحمر" عند ولادته. والكلمة العبريّة المترجمة "أحمر" هي "أدموني" אֲדָמוֹנִי. ويُمثّل هذا المصطلح لعباً على الألفاظ، لأنه مُشتقّ من نفس عائلة المصطلحات العبريّة لكلمة (أدوم) باللغة العبريّة אֲדָמוֹم أو أدوم باللغة العربيّة. ويدلّ هذا على أن عيسو كان جدّاً لشعب أدوم. ونعرف عن الأمة الثانية في التكوين ٢٥: ٢٦، حيث يُدعى الابن الثاني يعقوب. ويعقوب بالطبع هو الأب الشهير لشعب إسرائيل.

تُخبرنا الحادثة الثالثة عن المنافسة بين يعقوب وعيسو كشابين بالغين في التكوين ٢٥: ٢٧-٣٤.

أغرى يعقوب عيسو، في هذه الأعداد، لبيعه بكرورته مقابل "طبيخ أحمر"، أو (أدوم) אֲדָמוֹم في العبريّة. وتعبّر هذه الكلمة العبريّة اللون "الأحمر" لعيسو عند ولادته. ويُشير التكوين ٢٥: ٣٠ بوضوح أنه لهذا السبب دُعي عيسو أيضاً "أدوم".

كما رأينا، قدّم موسى من البداية توجهاً هاماً لقراءه بشأن ما دونه. فكان قرأؤه على وشك أن يعرفوا ما حدث بين يعقوب وأخيه عيسو. لكن هذا الصراع كان أكثر بكثير من مجرد صراع بين أخوين. فقد كان هذين الأخوين رأسان لشعبيين، إسرائيل وأدوم، وبالتالي كان صراعهما الشخصي يُنبئ بالصراع بين نسلَيْهما في هاذين الشعبين.

عندما نُفكّر بالعلاقات الدبلوماسية، وتقاطّع المصالح السياسية، والتواصل بين إسرائيل وأدوم، نجد أن العلاقة بينهما كانت سيئة. حتى لما كان الأخوان يعقوب وعيسو في رحم رفقة، نراهما يتصارعان، فأحدهما يريد أن يحلّ مكان الآخر. فقد

خرج عيسو أولاً، لذلك هو البكر. لكن كان يعقوب خلفه تماماً وأراد أن يحلّ مكانه. لهذا السبب دُعي اسمه "يعقوب"، أي الذي "يعقب" أو "يحلّ" مكان الآخر. ثم نجد أنهما وهما بعد يافعين كانا يمتلكان مزاجين مختلفين. فيحب يعقوب الاستقرار في الخيمة، يأكل ويبقى في المنزل، أما عيسو فكان يحب الصيد. كان يعقوب يريد ما يملكه عيسو، أي ميراث البكورية. فطهى يعقوب طعاماً، ولما رجع عيسو من الصيد إلى البيت جائعاً جداً، عرض عليه يعقوب الطعام الشهّي مقابل حقّ البكورية. ووافق عيسو على العرض المقدم له. وأدرك يعقوب ما جرى ثم أراد البركة التابعة لحقّ البكورية من أبيه. فقام يعقوب بالتحالف مع أمه والادعاء أنه عيسو. حيث كان عيسو كثيف الشعر. فغطّى يعقوب يديه بشعر المعزى مدّعياً أنه عيسو وطلب البركة من أب العائلة. وباركه إسحاق. وبهذه الطريقة، سلب يعقوب حقّ عيسو في الميراث. وهذا بالطبع خلق عداوةً بينهما. فكان على يعقوب أن يهرب لأن أخاه كان ينوي قتله. ويبيّن هذا أن العلاقة لم تكن جيدة على الإطلاق بين الأخوين. وتعاطم الأمر أكثر عندما أصبحا أمّتين قوميتين؛ يكره أحدهما الآخر. والتاريخ يبرهن ذلك.

— د. توم بيتر

يساعدنا هذا التركيز على يعقوب وعيسو ونسليهما في القسم الأول لكي نفهم القسم السابع أو الأخير، حيث نهاية الصراع بالنسبة للأخوين، في التكوين ٣٥: ١٦-٣٧: ١.

نهاية الصراع (التكوين ٣٥: ١٦-٣٧: ١)

يُركّز موسى في هذا القسم مرةً أخرى على يعقوب وعيسو وعلى الشعيين اللذين يُمثله كلٌّ منهما. وهو يفعل ذلك في ثلاثة أقسام. أولاً، دَوَّرَ سُلالة يعقوب في التكوين ٣٥: ١٦-٢٦. يتناول هذا الجزء كيف شكّل نسل يعقوب شعب إسرائيل. كما يتضمّن ملاحظاتٍ حول بنيامين ورأوبين، وينتهي بلائحة آباء أسباط إسرائيل الاثني عشر. ثانياً، يصف موسى سلوك يعقوب وعيسو عند موت إسحاق في التكوين ٣٥: ٢٧-٢٩. يُخبرنا هذا المقطع القصير أن يعقوب وعيسو دفنا إسحاق. وتتنصّح هذه التقرير عندما نتذكّر أنه، في التكوين ٢٧: ٤١، هدّد عيسو بقتل يعقوب ما أن يموت أبوه. في ضوء ذلك، يُشير

وصف موت إسحاق إلى أن الصراع بين الأخوين قد انتهى.

ثالثاً، قدّم موسى سجلاً مفصلاً عن سلالة عيسو في التكوين ٣٦: ١-٤٣.

يَدمجُ هذا السجلُّ سلالتَي نسبٍ يَظهرُ فيهِما قطاعَتَ مختلفَتَ نسبِ عيسو. وينتهي هذا الجزءُ مع الملوك الذين حكموا في منطقة سَعير. ثم أضافَ موسى خاتمةً في التكوين ٣٧: ١ شارحاً أن يعقوب استمرَّ في العيش في أرض كنعان. ومع نهاية سلالة عيسو بهذه الطريقة، أوضح موسى أنه على الرُغم من أن الصراع بين يعقوب وعيسو قد انتهى، انفصلَ الأخوان عن بعضٍ. فعاشت ذريَّةُ يعقوب في كنعان، وعاشت ذريَّةُ عيسو في أدوم.

بينما نَتذكَّرُ محتوى القسمين الأول والأخير من حياة يعقوب، لنتقدّم خطوةً أقرب إلى مركزِ سجلِّ موسى، إلى القسمين الثاني والسادس اللذين يتناولان مواجهاتِ الآباء في أرض الموعد. ترد في هذين القسمين مقابلةً بين اللقاءات السلمية التي تمت بين إسحاق والفلسطينيين في التكوين ٢٦: ١-٣٣، والمواجهات العدائية بين يعقوب والكنعانيين في التكوين ٣٣: ١٨-٣٥: ١٥. وسنبدأ بالقسم الثاني الذي يصف إسحاق ومواجهته مع الفلسطينيين.

إسحاق والفلسطينيين (التكوين ٢٦: ١-٣٣)

زعم الكثير من المفسرين النقيدين أن هذا الإصحاح من سفر التكوين هو في غير مكانه. فهم يؤكّدون أنه يركّز على إسحاق بدل يعقوب. ومن المرجح جداً أن تكون هذه الأحداث قد تمت قبل ولادة يعقوب وعيسو. ولكن كما سنرى، يُعدُّ هذا القسم أساسيّ بالنسبة لتركيز موسى على حياة يعقوب.

ينقسم هذا المحتوى إلى حادثتين مترابطتين بقوة. تصف الحادثة الأولى مُصالحة إسحاق الأولى مع الفلسطينيين في التكوين ٢٦: ١-١١.

في هذه الأعداد، خدع إسحاق الملك الفلسطيني، أبيمالك، مؤمماً إياه بأن رفقة هي أخته. بعد اكتشاف أبيمالك خدعة إسحاق، قام بإعادة رفقة إليه. ثم أعطى أبيمالك إسحاق الإذن بالبقاء في المنطقة وأمر شعبه بعدم أديتُهُما.

أما في الحادثة الثانية، فنرى مُصالحة إسحاق الدائمة مع الفلسطينيين في التكوين ٢٦: ١٢-٣٣.

بارك الله إسحاق في هذا الجزء، لكنّ وفرة قطعانه ومواشيه جعلت الفلسطينيين يحسدونه. فتجنّباً للعنف، ابتعد إسحاق منتقلاً من بئر إلى أخرى. وتنتهي الحادثة باعتراف أبيمالك ببركة الله

على حياة إسحاق، وبإبرام الاثنتين اتفاقية سلامٍ بينهما في بئر سَبْع. وتُسلِّطُ رواية الصلح بين إسحاق والفلسطينيين الضوء على حقيقة أن إسحاق، ثم ابنه يعقوب من بعده، كانا خُلفاءً لإبراهيم. وعندما تُقارَنُ محتوى هذا القسم مع حياة إبراهيم، نجدُ فيه تشابهاً مع حياة إبراهيم. حيث تعامل إبراهيم مع ملكِ فلسطيني اسمه أبيمالك أيضاً في التكوين ٢٠: ١-١٨. حفر إبراهيم آباراً وعاش بين الفلستينيين في التكوين ٢١: ٣٠ و ٣٤. كذلك قطع إبراهيم ميثاقاً مع الفلستينيين في بئر سَبْع في التكوين ٢١: ٢٢-٣٤. وقد صمَّم موسى هذه المقارنات مع إبراهيم، ليُزيلَ كلَّ شكٍ بأنَّ الله وافقَ على هذه العلاقة السلمية بين إسحاق والفلستينيين. لننتقل الآن من تعاملات إسحاق مع الفلستينيين إلى القسم السادس من حياة يعقوب التي تركزُ على المواجهات بين يعقوب والكنعانيين في التكوين ٣٣: ١٨-٣٥: ١٥.

يعقوب والكنعانيين (التكوين ٣٣: ١٨-٣٥: ١٥)

يتألفُ نزاعُ يعقوب مع الكنعانيين من حادثتين مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً. تتعلَّقُ الحادثة الأولى بالنزاع في شكيم الذي حدَّتْ مع يعقوب في التكوين ٣٣: ١٨-٣٤: ٣١. في الوقت الذي كان فيه يعقوب بين الكنعانيين، اضطجع شكيم ابن حَمور مع دينة، ابنة يعقوب. وكرَّدَ على هذا الاعتداء على أختهم، قام أولادُ يعقوب بخداع بني شكيم وجعلوهم يعتقدون أنهم سيُسامحونهم في حالِ اختننوا. لكن ما أن باتَ بنو شكيم عاجزين عن القتالِ بسببِ أوجاع الختان، انقضَّ ابنا يعقوب شمعون ولاوي عليهم وقتلوهم جميعاً. عبَّرَ يعقوب لاحقاً عن خشيته من أن يسعى الكنعانيون للانتقامِ ويهلكوا عائلته. وعلى الرُغمِ من إصرارِ ابني يعقوب على أنهما فعلا الصواب، فإنَّ كلماتِ يعقوب الأخيرة عن شمعون ولاوي، في التكوين ٤٩: ٥-٧ تُشير إلى غير ذلك.

تلقَّى يعقوب، في الحادثة الثانية، في بيتِ إيل ضماناً من الله، في التكوين ٣٥: ١-١٥. في التكوين ٣٥: ٢-٤، كرَّسَ يعقوب نفسه وكلَّ عائلته لله استعداداً لبناءِ مذبحٍ في بيتِ إيل. ونتيجةً لذلك، نزلَ خوفُ الله على الكنعانيين ولم يسعوا وراءَ يعقوب. وبعدَ أن بنى يعقوب المذبح في بيتِ إيل، تكلمَ الله معه وأكدَّ له أنه وريثُ أبيه. ونرى ذلك بصورةٍ خاصة في التكوين ٣٥: ١٠-١٢ حيثُ يشبهُ كلامُ الله هنا كلامه السابق مع إسحاق في التكوين ٢٦: ٣-٤. وتنتهي هذه الحادثة ببيعقوب وهو يقدِّمُ الشكرَ لله على هذه البركة.

وكما هو الحالُ في القسم الثاني، نرى الكثيرَ من التشابهِ بين إبراهيم ويعقوب في هذه

الإصحاحات. في التكوين ٣٣: ٢٠، بنى يعقوب مذبحاً للرب في شكيم، وهذا يُشبهه إلى حد كبير ما فعله إبراهيم قبله في التكوين ١٢: ٧. علاوة على ذلك، في التكوين ٣٥: ٦-٧، انتقل يعقوب من شكيم إلى بيت إيل وبنى هناك مذبحاً للرب، كما فعل إبراهيم في التكوين ١٢: ٨. وكما هو الحال في القسم الثاني، تُبيّن هذه المقابلات الإيجابية مع حياة إبراهيم أن الله كان موافقاً على نزاع يعقوب مع الكنعانيين.

لنتقل الآن إلى القسمين الثالث والخامس اللذين يتحدثان عن فترات الانفصال بين يعقوب وعيسو. وتركز هذه القصص على زمنين متميزين عندما افترق الأخوان كل في طريقه. حيث يصف القسم الثالث الانفصال العدائي في التكوين ٢٦: ٣٤-٢٨: ٢٢. ويصف القسم الخامس الانفصال السلمي في التكوين ٣٢: ١-٣٣: ١٧. لننظر إلى الانفصال العدائي بين يعقوب وعيسو.

الإنفصال العدائي (التكوين ٢٦: ٢٨-٣٤: ٢٢)

يُركّز هذا الجزء على أربع روايات تنتقل بين عيسو ويعقوب لتستعرض التعقيدات الأخلاقية لهذه الأحداث. أولاً، يُعطي التكوين ٢٦: ٣٤ تقريراً موجزاً بأن عيسو جلب العار لنفسه بزواجه من نساء حبيبات مخالفاً إرادة والديه.

ثانياً، في التكوين ٢٧: ١-٢٨: ٥، نقرأ سرداً طويلاً كيف أن خداع يعقوب ضمّن له بركة إسحاق.

في هذه القصة المشهورة، ضمّن يعقوب البركة، التي من المفترض أن تكون لعيسو، عن طريق خداع أبيه إسحاق. وعند معرفة عيسو بما حصل، غضب جداً مما جعل رفقة تخشى على حياة يعقوب. فأقنعت إسحاق بإرسال يعقوب إلى فدّان آرام حيث يُمكن ليعقوب أن يجد زوجة من بين أقاربهم.

ثالثاً، وحتى يمنع القراء من التعاطف كثيراً مع عيسو، يُخبرنا موسى في التكوين ٢٨: ٦-٩، أن عيسو أخذ نساء إسماعيليات في تحدٍ لوالديه.

ويؤكد الجزء الرابع والأخير على اختيار الله ليعقوب كوريث لإسحاق، بإخبارنا عن بركة يعقوب من خلال حلم في بيت إيل في التكوين ٢٨: ١٠-٢٢.

الإنفصال السلمي (التكوين ٣٢: ١-٣٣: ١٧)

وبالتباين مع قصة القسم الثالث حول الانفصال العدائي بين يعقوب وعيسو، يُخبرنا القسم الخامس لحياة يعقوب عن الانفصال السلمي للأخوين في التكوين ٣٢: ١-٣٣: ١٧. ويتضمن هذا القسم حدثين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً. أولاً، استعداد يعقوب للقاء عيسو في التكوين ٣٢: ١-٣٢.

بعد سنين من الانفصال العدائي، استعدَّ يعقوب للقاء عيسو بإرساله رسلاً وهدايا أمامه. وبحسب هوشع ١٢: ٤، في الليلة التي سبقت لقاءه بعيسو، تدلَّ يعقوب بعد صراعه مع ملاكٍ وحصوله على بركة الله.

نرى أن الوعد قد سبق وأُعطى لرفقة بأن يعقوب هو من سينال البركة، لكن نال يعقوب البركة بخداعه لأبيه، وقوله عندما سُئل عن اسمه، "أنا عيسو بكَرْك". فكذب. لكن الله باركه، وجعله يُثمر، وأعطاه الكثير من الأولاد، وهكذا بدأ وعد الله لإبراهيم يتحقق - "وَأَكْثَرَ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كُنُجُومِ السَّمَاءِ" - ومع ذلك في طريق رجوعه إلى أرض الموعد، كان عليه أن يواجه ماضيه. ففي الليلة التي سبقت لقاءه بعيسو، تصارع مع ملاك، وسأله الملاك "ما اسمك؟" فقال الحقيقة هذه المرة "اسمي يعقوب". وأُعطى اسماً جديداً، "إسرائيل".

— د. كريج كينر

تذكرُ الحادثة الثانية في التكوين ٣٣: ١-١٧ مصالحة يعقوب مع عيسو.

في هذا الجزء، يلتقي الأخوان ثم يفترقان بسلام. وأوجه التباين بين هذا القسم والقسم الموازي له واضحة. حيث لم يعد يعقوب مخادعاً، بل صادقاً ومتواضعاً. ولم يعد عيسو يسعى وراء الانتقام بل صفح عن أخيه. في النهاية، اتجهت العداوة السابقة بين التوأمين نحو التسوية، وذهب كل واحد في طريقه بسلام. وينتهي هذا القسم باختفاء عيسو من القصة. ثم في التكوين ٣٤، يظهر الكنعانيون وموقع جغرافي جديد.

كلُّ هذا يأتي بنا إلى القسم الرابع وهو قسم محوري حول الوقت الذي أمضاه يعقوب مع لابان في التكوين ٢٩: ١-٣١: ٥٥.

الوقت مع لابان (التكوين ٢٩: ١-٣١: ٥٥)

تَنقَسُمُ الفترةُ التي عاشها يعقوبُ مع لابان إلى خمسة أجزاءٍ رئيسيةٍ. وتبدأُ هذه الأجزاءُ في التكوين ٢٩: ١-١٤ مع وصولِ يعقوبِ إلى فدَّانِ آرامَ. نطلُّ بعدَ ذلكَ في التكوين ٢٩: ١٤-٣٠ على خداعِ لابان ليعقوبِ في مسألةِ تزويجِ ابنتيه ليعقوبِ.

بعدَ زيجاتِ يعقوبِ في التكوين ٢٩: ٣١-٣٠: ٢٤، نقرأُ عن ولادةِ أولادِ يعقوبِ وهم آباءُ أسباطِ إسرائيلِ.

بعدَ ذلكَ، كررَ على خداعِ لابان في التكوين ٣٠: ٢٥-٤٣، يُخبرُنا موسى عن خداعِ يعقوبِ للابان في سعيه وراءَ أجره عن سنواتٍ عمله.

أخيراً، في التكوين ٣١: ١-٥٥، نقرأُ عن رحيلِ يعقوبِ من فدَّانِ آرامَ، بما في ذلكَ عهدِ السلامِ الذي قطعهُ مع لابان.

تتناولُ هذه الإصحاحاتُ المحوريةً مجموعةً من الخدعِ والنزاعاتِ. لكن كما سنرى بعد قليلٍ، أدت هذه الخدعُ والنزاعاتُ إلى تغييرٍ جذريٍّ في حياةِ يعقوبِ.

عندما ننظرُ في سيرةِ يعقوبِ في التكوين ٢٥-٣٧، نرى سلسلةً من التحولاتِ في حياته. فهو يبدأُ كمخادعٍ، لا يلبثُ أن ينالَ ذلكَ الإعلانَ المذهلَ من الله، الذي لا يشيرُ فيه اللهُ إلى خداعِ يعقوبِ، لكن بدلَ ذلكَ يجددُ كلَّ وعودِ إبراهيمِ له. ثم يصبُحُ يعقوبُ التاجرَ الذي يعقدُ صفقةً مع الله، أنه لو حَفِظَ اللهُ هذه الوعودَ فسوفَ يعطي اللهُ قسماً صغيراً. لكن يا لها من صفقةٍ، فاللهُ تمسَّكَ بوعودهِ عندما التقى يعقوبُ بشخصٍ ملئٍ أكثرَ منه، وهو لابان. ومع اختبارِ يعقوبِ بركةَ اللهِ في حياته، يظهرُ بوضوحٍ أنه صارَ أكثرَ استعداداً لثيقَ بالله، على الأقل في الحد الأدنى، بحيث عندما طلبَ منه اللهُ العودةَ إلى بلدهِ، كان على استعدادٍ أن يفعلَ. وأخيراً، هُزِمَ المخادعُ والتاجرُ، عندما سمعَ أن أخاهُ مقبلٌ مع العديدِ من رجالهِ المسلحين. ثم تمَّ إنقاذُ المهزومِ يعقوبِ عندما صارعهُ ملاكُ اللهُ. قال يعقوبُ اللهُ: "أنا أحتاجُ بركتكِ أنتِ، ليسَ بركةَ أبي، أو بركةَ عيسو، بل بركتكِ أنتِ!" وهكذا في النهايةِ وبهذه الطريقةِ أوصلهُ اللهُ إلى حيثُ صارَ مستعداً أن يثقَ باللهِ ولم يعدَ بحاجةً أن يكونَ ذلكَ المناورُ الذي يجعلُ كلَّ شيءٍ يعملُ من أجلِ مصلحتهِ.

ـد. جون أوزوالت

بَحَثْنَا إلى هنا في درسنا حول الأب يعقوب في البنية والمحتوى لحياة يعقوب في سفر التكوين. لننتقل الآن إلى موضوعنا الرئيسي الثاني: المواضيع الرئيسية التي تظهر في هذه الإصحاحات.

المواضيع الرئيسية

من المؤسف، أن أتباع المسيح يتصرفون غالباً كما لو أن سيرة يعقوب قد كُتبت في الأصل من أجل المؤمنين الأفراد ليطبّقوها مباشرة على حياتهم الشخصية. وبطبيعة الحال، يُعلمنا هذا الجزء من سفر التكوين الكثير عن الكيفية التي يجب أن يعيش بها الأفراد. لكن يجب أن نتذكّر باستمرار أن سفر التكوين لم يُكتب بهدف أن يتمكّن المؤمن العادي من قراءته. فالأسفار المقدسة كانت فقط في متناول قادة إسرائيل في القديم. لذلك، فإن حياة يعقوب كُتبت في المقام الأول لتتناول قضايا تتعلق بشعب إسرائيل ككل. فقد أوكل الله إلى إسرائيل إرسالاً بناءً ملكوته في أرض الموعد. ومن هناك، كان عليهم أن ينشروا ملكوته إلى أقاصي الأرض. وتساعدنا إرسالاً بناءً الملكوت هذه على التعرف على المواضيع الرئيسية في حياة يعقوب، بالنسبة لشعب إسرائيل في القديم، وبالنسبة لي ولك، نحن الذين نعيش اليوم في ملكوت المسيح.

رأينا في دروسنا حول حياة إبراهيم، أن موسى شدّد على أربع موضوعات رئيسية: نعمة الله لإبراهيم، ولاء إبراهيم لله، بركات الله لإبراهيم، وبركات الله من خلال إبراهيم للآخرين. وتظهر هذه المواضيع ذاتها مرة أخرى في حياة يعقوب.

لهذا السبب، سننظر كيف تشدّد قصة حياة يعقوب على أربعة مواضيع رئيسية. أولاً، سنناقش نعمة الله لإسرائيل؛ ثانياً، مطلب ولاء إسرائيل لله؛ ثالثاً، بركات الله لإسرائيل؛ ورابعاً، وهي الميزة الأبرز في هذه الإصحاحات، بركات الله من خلال إسرائيل للآخرين. لنبدأ ببعض الطرق التي من خلالها تُركّز قصة يعقوب على نعمة الله لإسرائيل.

نعمة الله لإسرائيل

سنبحث في نعمة الله لإسرائيل بطريقتين. فمن جهة، سنرى كيف كان هذا الموضوع محور

تركيز المعنى الأصلي لموسى، وكيف أراد أن يؤثر في قرائه من بني إسرائيل في القديم. ومن جهة أخرى، سنأخذ بعين الاعتبار بعض النواحي التي يجب أن يؤثر من خلالها موضوع النعمة الإلهية في تطبيقنا المعاصر لهذا الجزء من التكوين. لننظر أولاً إلى المعنى الأصلي لموسى.

المعنى الأصلي

بصورة عامة، وبغية تعليم شعب إسرائيل عن نعمة الله في حياتهم، شدد موسى على النعمة الإلهية في حياة يعقوب بثلاث طرق.

النعمة السابقة: أولاً، أشار موسى كيف أظهر الله نعمة سابقة ليعقوب حتى قبل أن يولد. تلتفت الحادثة الافتتاحية لسيرة يعقوب انتباهنا إلى هذه المسألة. استمع من جديد إلى التكوين ٢٥: ٢٣ حيث قال الله لرفقة:

فِي بَطْنِكَ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكَ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ. (التكوين ٢٥: ٢٣)

في رومية ٩: ١١-١٢، علق الرسول بولس بقوله إن يعقوب نال رحمة الله حتى قبل أن يفعل خيراً أو شراً.

وبالطريقة عينها، فإن نعمة الله، لأسباط إسرائيل التي كانت تتبع موسى إلى أرض الموعد، تأسست على مراحم الله في الماضي. في التثنية ٧: ٧-٨، أشار موسى إلى هذا الأمر قائلاً:

لَيْسَ مِنْ كُونِكُمْ أَكْثَرُ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، النَّصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ،... بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحَفِظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لِأَبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمْ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. (التثنية ٧: ٧-٨)

النعمة المستمرة: في المقام الثاني، سلط موسى الضوء على الحاجة إلى النعمة المستمرة لله في حياة يعقوب. وعلم هذا بني إسرائيل عن حاجتهم الماسة إلى نعمة الله المستمرة في حياتهم. ويظهر هذا التركيز أولاً في رواية ولادة يعقوب في التكوين ٢٥: ٢٤-٢٦. استمع إلى التكوين ٢٥: ٢٦:

وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ وَيْدُهُ قَابِضَةً بِعَقِبِ عَيْسُو، فَدَعِيَ اسْمُهُ يَعْقُوبَ. (التكوين ٢٥: ٢٦)

دُعِيَ يَعْقُوبُ بهذا الاسم لأنه خَرَجَ عِنْدَ الْوِلَادَةِ وَيْدُهُ قَابِضَةً بِعَقِبِ عَيْسُو. واسمُ يَعْقُوبَ יַעֲקֹב، في العبرية، هو من نفسِ الجذرِ للكلمة المترجمة "عَقَبَ" أو (عاقب) יָצַח في العبرية. ويعني اسمُ يَعْقُوبَ، فعلياً، "يَقْبِضُ عَلَى الْعَقَبِ". لكن كَانَ لاسمِهِ، في هذه الحالة، دلالاتُ التخريبِ والخِذَاعِ، لأن يَعْقُوبَ سعى إلى كَسْبِ مَرْكَزِ الْبُكُورِيَّةِ مِنْذُ يَوْمِ وِلَادَتِهِ. حتى يمكننا القولُ إن اسمَ يَعْقُوبَ يعني شيئاً مثلَ "المُخَادَعِ".
ويُفسِّرُ هذا ردةَ فعلِ عيسو في التكوين ٢٧: ٣٦ بعد أن خدعَ يَعْقُوبَ إِسْحَاقَ لِيُنَالَ مِنْهُ بَرَكَةَ عيسو:

فَقَالَ: "أَلَا إِنَّ اسْمَهُ دُعِيَ يَعْقُوبَ، فَقَدْ تَعَقَّبَنِي الْآنَ مَرَّتَيْنِ! أَخَذَ بُكُورِيَّتِي، وَهُوَذَا الْآنَ قَدْ أَخَذَ بَرَكَتِي". (التكوين ٢٧: ٣٦)

فاسمُ يَعْقُوبَ يتلاءمُ مع تصرفاتِهِ وَيُظْهِرُ بوضوحٍ حاجتَهُ إلى نعمةِ اللَّهِ المستمرةِ في كلِّ يومٍ من حياتِهِ.

غالباً ما لفتَ موسى الانتباهَ إلى إظهاراتِ نعمةِ اللَّهِ المستمرةِ والتي كانت وثيقةَ الصلةِ بصورةٍ خاصةٍ بقراءِهِ الأصليين. وعلى سبيلِ التوضيح، في التكوين ٢٦: ٢٦-٣٣، أظهرَ اللَّهُ رحمتهُ إلى إِسْحَاقَ، أَبِي يَعْقُوبَ، بضمَانِ سلامتِهِ بينِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ. وعندما كتبَ موسى هذه الإصحاحات، كَانَ الَّذِينَ اسْتَلَمُوا كَلَامَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِحَاجَةٍ أَيْضاً إلى نعمةِ اللَّهِ لِيَضْمَنُوا حِمَايَتَهُمْ الشَّخْصِيَّةَ مِنَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ. بالإضافةِ إلى ذلك، في التكوين ٣٤: ١-٣١، تَكَرَّمَ اللَّهُ وَأَعْطَى يَعْقُوبَ الْإِنْتِصَارَ عَلَى الْكِنَعَانِيِّينَ. من خلالِ هذا المثالِ، تَعَلَّمَ قَرَاءُ مَوْسَى الْأَصْلِيِّينَ أَنَّهُمْ بِحَاجَةٍ إلى نعمةِ اللَّهِ المستمرةِ لتعطيهِمُ النُّصْرَةَ عَلَى الْكِنَعَانِيِّينَ فِي زَمَنِهِمْ.

النعمة المستقبلية: في المقام الثالث، ركزت قصةَ يَعْقُوبَ على النعمةِ المستقبليةِ لله. مرةً أخرى، نرى هذا الموضوعَ أولاً في الأحداثِ الافتتاحيةِ في روايةِ موسى. وكما تذكرون في التكوين ٢٥: ٢٣، وَعَدَّ اللَّهُ قَبْلَ وِلَادَةِ يَعْقُوبَ:

شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ. (التكوين ٢٥: ٢٣)

ويشير هذا الوعدُ إلى أن بني إسرائيل سَيَتَّبِعُونَ جيداً في أرضِ الموعدِ، بحيث يمتدُّ حكمهم - وبالتالي - حكمُ الله - إلى أرضِ ذريةِ عيسو أيضاً. وكان هذا الوعدُ بالبركةِ المستقبليةِ بشكلٍ خاصٍ وثيقٍ الصلةِ بالنسبةِ لقراءِ موسى الأصليين في تعاملهم مع الأდوميين في عصرهم. وقطعَ اللهُ عدداً من الوعودِ الأخرى حولِ النعمةِ المستقبليةِ في سيرةِ حياةِ يعقوب. على سبيلِ المثال، في حُلْمِ يعقوب في بيتِ إيل، في التكوين ٢٨: ١٠-٢٢، أكدَّ اللهُ ليعقوب الكثيرَ من المراجِمِ المستقبليةِ. ولاحقاً، عادَ اللهُ وأكدَّ له وعوداً مماثلةً بالنعمةِ أثناءَ عبادةِ يعقوب في بيتِ إيل في التكوين ٣٥: ١١-١٢. وهذه الوعودُ بالنعمةِ المستقبليةِ ليعقوب، كُشِّفَتْ لقراءِ موسى الأصليين المستقبلِ المشرقِ الذي أعدَّهُ اللهُ لهم، وهم يتقدمون للاستيلاءِ على أرضِ كنعانِ واستيطانها.

لكي نفهمَ كيف ركزت قصصُ يعقوب على حقِ إسرائيلِ بأرضِ الموعدِ، يجب أن نتذكَّرَ أمرين مختلفين على الأقل. أولاً، تتناولُ هذه القصصُ بالدرجةِ الأولى التباينَ بينَ يعقوب وعيسو - وهما جماعتانِ تتنافسانِ على كونِ كلِّ منهما الوريثَ الشرعيَّ لوعودِ إبراهيم. وتُظهرُ قصصَ يعقوب وعيسو والتباينَ بينهما، بكلِّ وضوحٍ أن عيسو ذهبَ إلى الجنوبِ نحوَ الأدوميين، وأن اللهُ أعطاهُ تلكَ الأرضِ حيث جعله يستقرُّ، وأن يعقوبَ هو بالأحرى الوريثَ الشرعيَّ للوعدِ الذي أُعطيَ لإبراهيم حولِ أرضِ الموعدِ. لكن يمكنك أيضاً أن تجدها في قصةِ لابان عندما غادره يعقوب. إن هؤلاء جيرانه في الشمال، وأقاربُ له، لكن لا يبقى يعقوب هناك سوى لفترةٍ زمنيةٍ محدَّدة. وما هو أهمُّ من هذه المقارناتِ بينَ يعقوب وعيسو، ويعقوب ولابان، هو أنه بينما يرحلُ يعقوب، بعد أن خدعَ أباهُ، وخدعَ أخاهُ، هو يغادرُ أرضَ الموعدِ في الإصحاح الثامن والعشرين، يحلُّمُ ذلكَ الحُلْمُ الشهيرُ في بيتِ إيل حيث يظهرُ له اللهُ والملائكةُ، ثم يقولُ يعقوب، "أرجوك أن تعدني بأني سأعودُ إلى هذه الأرض؟" فيعده اللهُ بأنه سيفعل ذلك. ثم في الإصحاح الخامس والثلاثين، نجدُ تذكيراً بهذه الحادثةِ، حيث قالَ اللهُ: "قُمْ اصعدْ إلى بيتِ إيلِ واصنعْ هناكَ مذبحاً. اصنعْ مذبحاً في المكانِ الذي قلتَ لكَ أنني سأعيدكَ إليه". وبيتُ إيل كما نعلمُ هي في أرضِ الموعدِ. ويشدِّدُ هذان المقطعانِ في حياةِ يعقوب بشكلٍ إيجابيٍّ على فكرةِ أن هذه هي الأرضُ التي قد أعطاهَا اللهُ ليعقوب

رَغَمَ كُلِّ عَيْوَبِهِ، وبالرُّغْمِ من خِدَاعِهِ أَخِيهِ وَأَبِيهِ، ورُغْمِ الأَعْمَالِ المَرِيْبَةِ التي قامَ بها في أرضِ لابان. وعلى الرُّغْمِ من كل هذه الأمور، اختارَ اللهُ يعقوبَ كالأشخاصِ الذي سيرثُ الأرضَ التي وعدَ بها جدَّهُ إبراهيمَ.

— د. ريتشارد برات، الابن

الآن بعد أن نظرنا إلى نعمة الله لإسرائيل، ونحن مُبْقِنِ المعنى الأصلي في أذهاننا، لنتطرق إلى بعض الطرق التي يجب أن تؤثر بها نعمة الله في التطبيق المعاصر لقصة يعقوب.

التطبيق المعاصر

طبعاً، هناك طرق لا تُحصى في تطبيق موضوع نعمة الله على حياتنا كأتباع للمسيح. لكن من أجل فائدتنا، سنفكر من ناحية تأسيس ملكوت المسيح، استمرارية ملكوته عبر تاريخ الكنيسة، واكتمال الملكوت عند عودته بمجد. وتمثل هذه المراحل الثلاث لملكوت المسيح بعض الطرق الرئيسية التي يُعلمها العهد الجديد لأتباع المسيح، ليجدوا نعمة الله في الماضي، النعمة المستمرة، والنعمة المستقبلية في حياتهم.

في المقام الأول، كأتباع للمسيح، عندما نرى إظهارات لنعمة الله الماضية في حياة يعقوب، يجب أن نتذكر كيف أعلن الله نعمته الماضية لنا، لا سيما من خلال تأسيس ملكوته في المسيح. فالمجيء الأول للمسيح يقف في آخر طريق طويل من تاريخ النعمة الممتد عبر كل العهد القديم. وكما تُشيرُ نصوص مثل رومية ٥: ٢٠، أظهر الله نعمته ورحمته عند المجيء الأول للمسيح أكثر من أي وقت سابق. كما قال بولس:

حَيْثُ كَثُرَتْ الخَطِيئَةُ أَزْدَادَتِ النِّعْمَةُ جَدًّا. (رومية ٥: ٢٠)

في المقام الثاني، تُذكرنا نعمة الله المستمرة في حياة يعقوب بأن نسعى وراء مراحله المستمرة، ونتكل عليها خلال استمرارية ملكوت المسيح. وكما يرد في نصوص مثل العبرانيين ٤: ١٦، حيث يُمكن لأتباع المسيح أن "يتقدموا بثقة إلى عرش نعمة [الله] لكي يجدوا نعمة [مستمرة] وعوناً في حينه."

وثالثاً، عندما نرى تأكيدات الله ليعقوب بشأن النعمة المستقبلية، يجب أن نتذكر نعمة الله

المستقبلية لنا التي ستظهر عند اكتمال ملكوت المسيح. وكما تعلم قراء موسى الأصليين عن نعمة الله المستقبلية في أرض الموعد، هكذا يتوق أتباع المسيح لتحقيق وعود الله في الخليقة الجديدة. وتذكرنا نصوص مثل أفسس ٢: ٧ بأنه عند رجوع المسيح، سنختبر "غنى [نعمة الله] الفائق".

ولاء إسرائيل لله

والآن بعد أن تطرقنا إلى الموضوع الرئيسي لنعمة الله لإسرائيل، لننتقل إلى موضوعنا الرئيسي الثاني: مطلب ولاء إسرائيل لله.

يوضح كلا العهدين القديم والجديد أن الخلاص الأبدي يُمنح بالكامل من خلال نعمة الله. فلم يستطع أحد أن يربح الخلاص بالأعمال. ولكن يوضح الكتاب المقدس أيضاً أنه عندما ينال البشر نعمة الله المخلصة، يبدأ روح الله بتغييرهم، فيسعون إلى طاعة وصايا الله بامتنان من القلب على مراحمهم العديدة. وهذا هو ثمر روح الله في داخلنا. ونحن إذ ننظر إلى موضوع الولاء لله في حياة يعقوب، يجب أن نبقى دائماً هذه الأبعاد اللاهوتية الأساسية في ذهننا.

لنشرح ما نعنيه، سننظر في ولاء إسرائيل لله كوجه من أوجه المعنى الأصلي الذي قصدَهُ موسى، ثم ننتقل نحو التطبيق المعاصر لهذا الموضوع. لنبدأ أولاً بالمعنى الأصلي الذي قصدَهُ موسى.

المعنى الأصلي

بصورة عامة، شدّد موسى على ولاء يعقوب لله ليحثّ قراءه الأصليين حتى يكونوا مخلصين لله في يومهم. وكانت إحدى أوضح الطرق التي فعل فيها موسى ذلك، في إشارته إلى أن الله غير يعقوب وجعله خادمه المخلص. في الأقسام الأولى لقصة يعقوب، صوّر الأب يعقوب بطريقة سلبية إلى حد بعيد. وتُصوّر ولادة يعقوب إياه قابضاً بعقب أخيه، وبالتالي محاولاً أن يستولي على مركز البكر. وفي صباحه، نعرف أن يعقوب استغلّ جوع أخيه عيسو ليضمن بكورية عيسو لنفسه. كما نعلم أنه خدع أباه العجوز لينال البركة التي كانت محفوظة لعيسو. والاستثناء الوحيد لهذا الوصف السلبي هو نذر يعقوب في بيت إيل حيث أقسم نه إن حفظه الله فسيجعل من الرب إلهاً له.

ثم بعد قسّمه، ذهب يعقوب ليعيش مع لابان. ويبدو أن بذرة الولاء لله التي زُرعت في قلب يعقوب في بيت إيل استمرت بالنمو. وعلى الرغم من سوء المعاملة التي تلقاها يعقوب من حميه، بعد

انتهاء خدمته له وعودته، أصبح إنساناً جديداً.

جعل موسى هذا التحول واضحاً في أربع طرقٍ على الأقل. أولاً، يخبرنا موسى أن يعقوب أظهرَ نَدماً نحوَ عيسو. في التكوين ٣٢: ٤-٥، أوصى يعقوبُ خدامَهُ أن يخاطبوا عيسو نيابةً عن يعقوب بعبارة "سيدي". وعندما التقى يعقوبُ نفسه أخيراً بعيسو في التكوين ٣٣: ٨، خاطبهُ مباشرةً داعياً إِيَّاهُ "سيدي".

ثانياً، أظهرَ يعقوبُ نَدماً نحوَ الله. على سبيلِ المثال، في التكوين ٣٢: ١٠ اعترفَ يعقوبُ إلى الله:

صَغِيرٌ أَنَا عَنْ جَمِيعِ الطَّافِكِ وَجَمِيعِ الأَمَانَةِ الَّتِي صَنَعْتَ إِلَيَّ عَبْدِكَ. (التكوين ٣٢: ١٠)

ثالثاً، نالَ يعقوبُ اسماً جديداً من الله. في التكوين ٣٢: ٢٢-٣٢، صارَ يعقوبُ ملاكاً عندَ مَخَاضَةِ نَهْرِ اليبُوق. وفي العدد ٢٧، اعترفَ يعقوبُ للملاكِ بأنَّه كانَ "مُخَادِعاً" عندما أقرَّ له بأنَّ اسمه يعقوب. إلا أنَّ الملاكَ ردَّ على اعترافِ يعقوب في التكوين ٣٢: ٢٨ قائلاً:

لَا يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَّرْتَ. (التكوين ٣٢: ٢٨)

وكالعديد من الأسماء الأخرى في الكتاب المقدس، كانَ اسمُ "إسرائيل" ^{יִשְׂרָאֵל} في مرحلةٍ ما من تاريخِ الشعبِ تمجيداً لله، ويعني "اللهُ يجاهدُ" أو "يصارعُ". والكلمة مشتقةٌ من الفعلِ العبريِّ (سار) ^{סָרַר} والمترجمُ في العدد ٢٨ إلى "جاهدت". لقد شرحَ الملاكُ ليعقوب أن هذا الاسمَ ينطبقُ عليه بصورةٍ خاصَّةٍ، لأنَّه جاهدَ معَ الله والناسِ وَقَدَّرَ. فجهادُ يعقوب معَ الله يُشيرُ إلى هذا المشهدِ بالذات، أي مصارعتَهُ من أجلِ نوالِ البركة. وعلى الأرجح، أنَّ مصارعةَ يعقوب معَ الناسِ تُشيرُ إلى مصارعتِهِ معَ عيسو ولابان. أمَّا على المستوى الشخصي، يدلُّ اسمه الجديد على أنه أصبحَ إنساناً جديداً. فعوضاً عن البقاءِ مخادِعاً، أصبحَ يعقوب "إسرائيل" الذي جاهدَ وَقَدَّرَ.

نقرأُ في سفرِ التكوين قصةً مثيرةً للاهتمامِ عن يعقوب، الذي غيَّرَ اللهُ اسمه إلى إسرائيل. لقد تصارعَ يعقوبُ معَ ملاكٍ وأدركَ أنَّ ذلكَ الملاكَ هو ممثِّلُ اللهِ؛ فهو

ملاك الله، وأدرك أنّ لدى الله خطةً مميزةً له. فقد التفتُ الله إليه، وتفقدُهُ، وكان عنده هدفٌ بالغُ الأهميةٍ لحياته. ولذلك أعطاه اسماً جديداً. وكانت العادةُ عندَ شعبِ إسرائيلَ في القديم، ألا يُسمّوا أولادهم بأسماءٍ إلى حين ولادتهم. لم يكن أحدٌ يختارُ اسماً لطفله قبل أن يُولد. لم يكن أحدٌ يقولُ لو كان المولودُ ذكراً سنُعطيه هذا الاسم، ولو وُلدت لنا ابنةٌ فسنسميها كذا. لكن بدلاً من ذلك، كانوا ينتظرون إشارةً ما، علامةً ما، دليلاً ما للاسم. وبالفعل هذا ما حدث مع يعقوب عند ولادته، إذ خرج من رَحِمِ أمِّه ويدهُ قابضةً بعقبِ عيسو أخيه. فدُعي اسمه يعقوب، وهو اسمٌ عبريٌّ معناه "المتعقب" أو "الممسك بالعقب"، أو "الشخصُ المرتبطُ بالعقب"، وقد حملَ يعقوبُ هذا الاسمَ طوالَ حياته. لكنّه كان في مرحلةٍ جديدةٍ من حياته عندما التقى الله وجهاً لوجه. حين وهبهُ الله إدراكاً لهدفِ حياته الحقيقي، أي أنه سيكونُ أباً لشعبٍ بطريقةٍ مباشرةٍ أكثر مما كان عليه إِبَاهُ إسحاق أو جَدُّه إبراهيم. وهكذا كان هذا التغييرُ من يعقوب إلى إسرائيل أمراً جميلاً بالفعل، ونحن نُقدِّرُ دورَ الله في هذا التغيير، في دعوته الأب المباشِرُ لشعبِ إسرائيل ليخدمهُ، ويُنجِبَ الأولادَ الذين سيُشكِّلون شعبهُ الأولُ على الأرض.

— د. دوجلاس ستوارت

سيكون من الصعب أن نبالغ في تقدير أهمية ما عناهُ اسمُ يعقوب الجديد بالنسبة للقراء الأصليين لموسى. فقد كان "إسرائيل" الاسم القومي للأسباط الاثني عشر، التي قادها موسى من مصر إلى أرض الموعود. وحين سمعوا بالاسم الجديد لأبيهم يعقوب كخادم الله المُخلص، تذكروا أنه، لكونهم إسرائيل، هم مدعوون للصراع والغلبة، تماماً كما فعل يعقوب.

إن التصوير الرابع الإيجابي ليعقوب بعد تركه لابان، كان في عبادته الصادقة حين رجع إلى بيت إيل.

تماماً كما وعد يعقوبُ الله في بيت إيل بأن يبقى مُخلصاً له، في التكوين ٢٨: ٢٠-٢١، نرى في التكوين ٣٥: ٣ أنه بنى مذبحاً للرب في بيت إيل وعبدَ الربَّ بكلِّ صدقٍ.

وكانت لرواية موسى عن تحوّل يعقوب نتيجتان رئيسيتان على قرائه الأصليين. فقد تناول عدم ولاء يعقوب، لأن قراءه الأصليين احتاجوا لمواجهة الطرق العديدة التي لم يكونوا فيها مُخلصين لله. لكنّه قدّم أيضاً تحوّل يعقوب إلى خادمٍ مُخلصٍ لله ليحثّ قراءه للاقتداء بولاء يعقوب في يومهم. وبقدّر ما كان قراء موسى الأصليين بحاجة للاعتماد على نعمة الله، كانوا كذلك بحاجة للالتزام

بخدمةٍ مُخلصةٍ لله، بينما يواجهون تحدّياتِ الحياةِ في أرضِ الموعدِ.
والآن بعدَ أن نظرنا في موضوعِ ولاءِ إسرائيلَ لله فيما يتعلّقُ بالمعنى الأصليِّ لموسى. لا بدَّ
أن ننظرَ في هذا الموضوعِ كوجهٍ من أوجهِ تطبيقنا المعاصرِ لحياةِ يعقوبِ.
من أجلِ أغراضنا في هذا الدرس، سنعودُ مرّةً أخرى لنرى كيف تنطبّقُ هذه الناحيةُ من حياةِ
يعقوبِ علينا من جهةِ تأسيسِ ملكوتِ المسيحِ واستمراريتِهِ واكتمالِهِ.

التطبيق المعاصر

في المقامِ الأول، في كلّ مرّةٍ تقوّدنا سيرةُ حياةِ يعقوبِ إلى الشعورِ بمسؤوليتنا لنكونَ
مخلصينَ لله، يجب أن نُبقي في أذهاننا كيف أكملَ المسيحُ نفسه كلّ برٍّ في تأسيسِهِ لملكوتِهِ. تُخبرنا
الرسالةُ إلى العبرانيين ٤: ١٥ أنّ المسيحَ كان مُجرباً في كلّ شيءٍ، مثلنا تماماً، لكنّه لم يُخطئ أبداً.
في الواقعِ، كان المسيحُ مُخلصاً لوصايا الله حتى أنّه مات طوعاً على الصليبِ، واحتملَ قصاصَ الله
عوضاً عن كلّ من يُؤمنُ به. وهكذا يُحسبُ برُّه الكاملُ لنا بالإيمانِ. فولاءُ المسيحُ نفسه لله في
تأسيسِهِ لملكوتِهِ يَمنعنا من حصرِ تطبيقِ حياةِ يعقوبِ على الجانبِ الأخلاقيِّ - "افعل هذا. لا تفعل
ذاك". فينبغي أن ننظرَ، بالدرجةِ الأولى، إلى كلّ تضمينِ أخلاقيِّ لحياةِ يعقوبِ من منطلقِ إتمامِ
المسيحِ لكلِّ برٍّ من أجلنا.

ثانياً، عندما ننظرُ إلى موضوعِ الولاءِ في قصّةِ يعقوبِ، نجدُ أنّه يُوجّهنا لنخدمَ المسيحَ
بإخلاصٍ في يومنا هذا. فأتساءلُ استمراريّةِ ملكوتِ المسيحِ، ما زالت حياةُ يعقوبِ تدعونا إلى التفكيرِ
في ولائنا الشخصيِّ لله. وتُذكّرنا بنصوصِ مثلِ العبرانيين ١٢: ١-٢ التي تُحثُّنا على أن نتمثّلَ بأمانةِ
أولئك الذين سبقونا، بمن فيهم يعقوبِ.

وثالثاً، إنّ كلّ جانبٍ من سيرةِ يعقوبِ الذي يتعلّقُ بمطلبِ الولاءِ البشريِّ، يجب أن يُحوّلَ
قلوبنا نحو الولاءِ للمسيحِ عند اكتمالِ ملكوتِ الله. فموضوعِ الولاءِ يُذكّرنا بأننا نحن الذين نتبعُ
المسيحَ، سنتحوّلُ يوماً ما إلى خدامِ الله الأمانةِ والكاملينِ. وكما يردُ في نصوصِ مثلِ ١ يوحنا ٣:
٢، عندما يعودُ المسيحُ "سنكونُ مثلهُ".

يمكننا تطبيقُ أحداثِ قصّةِ يعقوبِ على حياتنا اليوم، عندما نرى أنّ يعقوبِ هو
من نالَ وعداً من الله بالبركة. ففي كلمةِ الله تعهدُ بحبِّ الله ليعقوبِ، ومع ذلك،
قضى يعقوبُ معظمَ أيامِ حياته وهو يحاولُ أن يحصلَ بأيِّ وسيلةٍ على ما سبقَ

ووعده الله به. ونحن غالباً ما نُشبهُ يعقوب. فنُكافحُ في الحياة بكلِّ وسيلةٍ ممكنةٍ، لكي نحصلُ على ما سبقَ ووعدنا اللهُ به، وفي الواقع، لقد وهبنا إياه بالفعل في المسيح. ولا يوجدُ آيةٌ في العهدِ الجديدِ، تشرُحُ هذا الأمرَ أفضلَ من العددِ الثاني والثلاثين من رسالة رومية ٨: "الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَدَلَهُ لِأَجْلِنا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهْبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ؟" ومن خلال المسيح، يتردّدُ في آذاننا صدى كلمات المزمور ٤٦: "كُفُّوا وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللهُ". وإن جاز لي أن أُضيف، إعلموا أنه إلهٌ صالحٌ، يلتفتُ بعطفٍ إلى أبناءِ عهده.

—ق. مايكل جلودو

بعد أن نظرنا إلى المواضيع الرئيسية حولَ نعمةِ الله لإسرائيل وولاءِ إسرائيل لله، دعونا ننتقلُ إلى موضوعٍ رئيسيٍّ ثالثٍ في هذا الجزء من سفر التكوين وهو: بركاتُ الله لإسرائيل.

بركاتُ الله لإسرائيل

سنبحثُ في بركاتِ الله لإسرائيل على النحوِ نفسه الذي استعرضنا فيه سائرَ المواضيع التي لموسى. أولاً سنتناولُ الأمرَ انطلاقاً من المعنى الأصليِّ لموسى؛ ثم سننظرُ في تطبيقنا المعاصرِ لهذا الموضوع. لنبدأُ بالمعنى الأصليِّ لموسى.

المعنى الأصلي

بصورةٍ عامّةٍ، لطالما تضمّنت علاقةُ الله في عهده مع شعبه بركاتٌ نتيجةً الطاعةِ ولعناتٌ نتيجةً العصيان. وممّا لا شكَّ فيه أنّ يعقوب اختبرَ عواقبَ مؤلّمةً نتيجةً عصيانه. على سبيلِ المثال، بعدَ خداعه لأخيه وأبيه، كان على يعقوب أن يهربَ كي ينجو بحياته. وقد مرَّ أيضاً في علاقته مع حميه لابان بأوقاتٍ عصيبةٍ.

لكن من الواضح أن موسى ركّزَ بشكلٍ أكبر على البركاتِ التي منحها اللهُ ليعقوب، ليذكّرَ قراءَهُ الأصليين بأنَّ الله منحهم أيضاً العديدَ من البركات. وتندرجُ بركاتُ الله ليعقوب ضمنَ مجموعتين: بركاتُ رَغَمِ عصيانِ يعقوب وبركاتُ نتيجةً لطاعةِ يعقوب.

فمن جهةٍ، حصلَ يعقوبُ على البركاتِ رَغَمِ عدمِ ولائه. على سبيلِ المثال، في التكوين ٢٧:

٢٧-٢٩، نال يعقوبُ بركةَ الله من خلالِ إسحاق، رَغَمَ أَنَّهُ حَصَلَ عَلَيْهَا بِخِدَاعِهِ لِإِسْحَاقَ. كَذَلِكَ حَصَلَ يَعْقُوبُ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ فِي بَيْتِ إِيلِ فِي التَّكْوِينِ ٢٨: ١٣-١٥، رَغَمَ حَقِيقَةَ أَنَّهُ كَانَ هَارِباً لِيَنْجُو بِحَيَاتِهِ مِنْ عَيْسُو.

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، فِي الْأَقْسَامِ الْأَخِيرَةِ مِنْ قِصَّةِ يَعْقُوبَ، تَأْتِي بَرَكَاتُ اللَّهِ لِيَعْقُوبَ نَتِيجَةً لَوْلَائِهِ. وَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، فِي التَّكْوِينِ ٢٩: ١-٣١: ٥٥، وَهَبَ اللَّهُ يَعْقُوبَ بَرَكَاتٍ عَائِلِيَّةٍ وَثَرَوَةً مِنْ خِلَالِ لَابَانَ. وَبَعْدَ أَنْ تَدَلَّلَ يَعْقُوبَ وَهَبَهُ اللَّهُ بَرَكَاتٍ مِنْ خِلَالِ عَيْسُو فِي التَّكْوِينِ ٣٢: ١-٣٣: ١٧. وَعَلَى نَحْوِ مِمَّاثِلٍ، فِي التَّكْوِينِ ٣٣: ١٨-٣٤: ٣١، نَالَ يَعْقُوبُ بَرَكَاتٍ مِنَ اللَّهِ فِي شَكِيمَ بَعْدَ أَنْ تَوَرَّطَ أَبْنَاؤُهُ فِي قِتَالٍ مَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ. كَمَا وَهَبَ اللَّهُ يَعْقُوبَ أَيْضاً بَرَكَاتٍ فِي بَيْتِ إِيلِ فِي التَّكْوِينِ ٣٥: ٩-١٣، حِينَ نَذَرَ الْأَبُ يَعْقُوبَ نَفْسَهُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ.

أَدْرَكَ مُوسَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ تَبِعُوهُ إِلَى أَرْضِ الْمَوْعِدِ سَيُوجِهُونَ الْعَدِيدَ مِنَ التَّحْدِيَّاتِ خِلَالَ خُرُوجِهِمْ وَامْتِلَاكِهِمْ لِلْأَرْضِ. لِذَا نَرَى تَرْكِيزَ مُوسَى فِي هَذِهِ النُّصُوصِ، وَنُصُوصٍ أُخْرَى كَثِيرَةً، عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ لِيَعْقُوبَ، لِيُثَبِّرَ فِي قُرَائِهِ الْأَصْلِيِّينَ الشُّعُورَ بِالْإِمْتِنَانِ، وَلِيُدْفَعَهُمْ إِلَى السَّعْيِ لِبَرَكَاتِ إِضَافِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ.

مَا أَنْ نَفْهَمَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّ وَرَاءَ مَوْضُوعِ بَرَكَاتِ اللَّهِ لِإِسْرَائِيلَ، يَسْهُلُ عَلَيْنَا حِينَئِذٍ أَنْ نُدْرِكَ مَدَى أَهْمِيَّةِ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي التَّطْبِيقِ الْمَعَاوِرِ.

التطبيق المعاصر

عَلَى غِرَارِ مَنَاقِشَاتِنَا السَّابِقَةِ، سَنَتَنَاوَلُ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنْ جِهَةٍ تَأْسِيسِ وَاسْتِمْرَارِيَّةٍ وَاكْتِمَالِ مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ.

أَوَّلًا، عَلَيْنَا أَنْ نُوجِّهَ أَفْكَارَنَا إِلَى الْمَسِيحِ نَفْسِهِ خِلَالَ تَأْسِيسِهِ لِلْمَلَكُوتِ. وَعَلَى عَكْسِ مَا حَدَّثَ مَعَ يَعْقُوبَ، الَّذِي نَالَ الْبَرَكَاتِ رَغَمَ عَدَمِ وِلَايَةِ؛ فَقَدْ نَالَ الْمَسِيحُ الَّذِي كَانَ بِإِلَاطِيَّةِ بَرَكَاتٍ عَظِيمَةٍ خِلَالَ حَيَاتِهِ عَلَى الْأَرْضِ بِسَبَبِ أَمَانَتِهِ لِلآبِ. وَنَالَ بَرَكَاتٍ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْهَا بَعْدَ صَعُودِهِ إِلَى السَّمَاءِ. وَمَا هُوَ رَائِعٌ مِنْ جِهَةِ بَرَكَاتِ الْمَسِيحِ الْخَاصَّةِ، كَمَا نَتَعَلَّمُ مِنْ نُّصُوصٍ مِثْلِ أِفْسَسِ ١: ٣، هُوَ أَنَّهُ مِنْ خِلَالِ اتِّحَادِنَا بِالْمَسِيحِ، نَشْتَرِكُ نَحْنُ مَعَهُ فِي الْبَرَكَاتِ الَّتِي نَالَهَا.

بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، يُعَلِّمُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ أَنَّ الْمَسِيحَ أَعْدَقَ بَرَكَاتِهِ عَلَى شَعْبِهِ خِلَالَ مَرِحَلَةِ اسْتِمْرَارِيَّةِ مَلَكُوتِهِ. وَتَمَامًا كَمَا صَنَعَ مَعَ يَعْقُوبَ، قَدْ يَبَارِكُنَا اللَّهُ أحياناً رَغَمَ عَدَمِ وِلَايَتِنَا، وَفِي أحيانٍ أُخْرَى تَأْتِي بَرَكَاتُهُ نَتِيجَةً لَوْلَائِنَا. فِي الْحَقِيقَةِ، إِنَّ حَيَاةَ أَتْبَاعِ الْمَسِيحِ هِيَ حَيَاةُ إِنْكَارِ الذَّاتِ وَالْأَلَمِ.

لكن توضّح لنا نصوص مثل ٢ كورنثوس ١: ٢١-٢٢ وأفسس ١: ١٣-١٤ أنّ الله وعدَ بأن يُختمَ كلُّ واحدٍ مِنّا ببركته العجيبة، أي الروح القدس. فالروح القدس يسكنُ فينا ومعنا كضمانٍ لميراثنا الأعظم في العالم الآتي.

إذاً، في كلّ مرّة نرى بركاتِ الله ليعقوب في سفر التكوين، نتذكّر البركاتِ اللامحدودة التي ستكونُ من نصيبنا عندَ اكتمالِ ملكوتِ المسيح. وكما تُعلمُ نصوصٌ مثلُ متى ٢٥: ٣٤ بكلِّ وضوحٍ، أنّه حينَ يعودُ المسيح، سيُرْحَبُ اللهُ بنا في "الملكوتِ المُعدِّ [لنا] منذُ تأسيسِ العالم".

بعدَ أن نظرنا إلى المواضيع الرئيسية حولَ نعمةِ الله لإسرائيل، وولاءِ إسرائيل لله وبركاتِ الله لإسرائيل، لننتقل إلى موضوعٍ رابعٍ، وهو بدونِ شكٍ الأبرزُ بين ما دوّنه موسى عن حياةِ يعقوب: بركاتِ الله إلى سائرِ الشعوبِ من خلالِ إسرائيل.

بركاتِ الله من خلالِ إسرائيل

كما فعلنا سابقاً، سنستكشفُ موضوعَ بركاتِ الله من خلالِ إسرائيل انطلاقاً من المعنى الأصليّ لموسى ثمّ ننتقلُ إلى التطبيقِ المعاصرِ لهذا الموضوع. لننظرُ أولاً إلى المعنى الأصليّ لموسى.

المعنى الأصلي

حتى نفهمَ أهميةَ هذا الموضوعِ بالنسبةِ لقراءِ موسى الأصليين، لا بدّ أن نسترجعَ تكليفَ الله الخاصّ لإبراهيم ليكونَ أباً لشعبِ إسرائيل. وتشرُحُ قصّةُ إبراهيم الواردة في التكوين، أنّ الله فوَضَ شعبَ إسرائيل ليأخذوا على عاتقهم تحقيقَ إرساليةِ البشرِ الأصليّة. وهي أن يتكاثروا ويملأوا الأرضَ بصورةٍ أمينةٍ لله. وإحدى الطرقِ لتحقيقِ ذلك كانت بنشُرِ بركاتِ الله إلى شعوبِ أخرى في كلّ الأرض.

وكما نقرأ في التكوين ١٢: ٢-٣، قال اللهُ لإبراهيم:

فَأَجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعْظِمَ اسْمَكَ، وَتَكُونُ بَرَكَهً. وَأُبَارِكَ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَاكَ
الْعَنَةُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. (التكوين ١٢: ٢-٣)

لاحظ هنا أن الله دعا إبراهيم إلى نشر بركات ملكوته إلى "كل شعوب الأرض". لكن لاحظ أيضاً أنه رغم كون بركات الله ستمتد إلى كل الأرض، لن يحصل كل شخص على البركة. فقد قال الله: "أَبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلَأَعْنَكَ أَلْعَنُهُ". بعبارة أخرى، هناك من سيفرض جهود إسرائيل ومنهم من سيقبلها. وقد وعد الله بأن يبارك ويلعن سائر الشعوب وفقاً لذلك.

وبشكلٍ مثير للاهتمام، إن هذه العملية المزدوجة ذاتها من المباركة واللعن التي أعلنها الله لإبراهيم، نراها تتكرر مع يعقوب في التكوين ٢٧: ٢٩ حين قام إسحاق بمباركة يعقوب قائلاً:

لِيَكُنْ لَاعْنُوكَ مَلْعُونِينَ وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ. (التكوين ٢٧: ٢٩)

خصَّصَ موسى معظم ما دونه عن حياة يعقوب ليُشير إلى الطريقة التي تعامل بها الأب يعقوب مع شعوبٍ مختلفة في زمنه. وهذه الشعوب ما هي إلا أسلاف الجماعات التي تعامل معها بنو إسرائيل في أيام موسى. وبهذه الطريقة، يُعلم موسى إسرائيل كيف يتعاملون مع هذه الجماعة أو تلك. هل ينبغي أن يدخلوا في حربٍ معها؟ أم أن يُقيموا معها سلاماً؟ على سبيل المثال، تتناول قصص يعقوب جماعتين من الناس كانتا تقيمان على حدود أرض الموعد.

من جهةٍ، يصف لنا القسم السادس في التكوين ٣٣: ١٨-٣٥: ١٥ المواجهات بين يعقوب والكنعانيين. وفي التكوين ١٥: ١٦ كان كلام الله واضحاً، أنه لن يخرج إسرائيل من مصر حتى يصبح "ذنب الأموريين كاملاً" والأموريين هي تسمية أخرى للكنعانيين. باستثناء قلة منهم، مثل راحاب، كان الكنعانيون قد دنسوا أرض الموعد في أيام موسى لدرجة أن الله أمر بني إسرائيل بإبادتهم. ليس من المفاجئ إذاً أن يكتب موسى عن هزيمة أهل شكيم على يد يعقوب وحماية الله ليعقوب من الشعوب الكنعانية الأخرى.

من جهةٍ أخرى، يخبرنا القسم الثاني من حياة يعقوب عن مواجهات بين إسحاق والفلسطينيين في التكوين ٢٦: ١-٣٣. وعلى خلاف صراع يعقوب مع الكنعانيين، يُركِّز هذا القسم على السلام بين إسحاق والفلسطينيين. ونعلم من يشوع ١٣: ١-٥ أن الفلسطينيين كانوا يقيمون في الأرض التي وعد بها الله إسرائيل. لكن يدُ اسمهم على أنهم شعوبٌ بحارة وقد أتوا من كفتور. لهذا السبب لم يقعوا مباشرة تحت دينونة الله مثلما حصل مع الكنعانيين. وتدعم هذه السياسة أمثلةً من حياة إبراهيم في التكوين ٢١: ٢٢-٣٤ وإسحاق في التكوين ٢٦: ٢٦-٣٣. فقد أقام كلٌّ من الأبوين معاهدات

سلامٍ مع الفلسطينيين. وكنتيجةً لذلك، كان على شعب إسرائيل في أيام موسى أن يَحذُوا حَذو إبراهيم وإسحاق وَيَسْعُوا للعيشِ بِسلامٍ جنباً إلى جنبٍ مع الفلسطينيين. ولم تَشُنَّ إسرائيلُ الحربَ عليهم إلا بعد أن خَرَقَ الفلسطينيونَ هذا السلامُ في الأجيالِ اللاحقة.

خِلافُ هذه الأمثلةِ، تتناولُ سيرةُ يعقوب أيضاً الشعوبَ التي كانت تعيشُ خارجَ أرضِ الموعد. على سبيلِ المثال، يُرَكِّزُ القسمُ الأوسطُ الممتدُّ من التكوين ٢٩: ١-٣١-٥٥ والذي يَشْمَلُ أيامَ يعقوب مع لابان، على أنسابِ بني إسرائيلِ البعيدين الذين عاشوا في سهلِ آرام، شمالِ أرضِ الموعد. وما دُونَ حَوْلِ أيامِ يعقوب هناك كان يُنْذِرُ بالخداغِ الذي اتصَفَ به لابان وعائلته. إلا أنَّ التكوين ٣١: ٥١-٥٥ يُشيرُ إلى القَسَمِ الذي تَعَهَّدَ فيه يعقوب ولابان بأن يحترما الحدودَ الجغرافيةَ بينهما ويعيشا بِسلامٍ مع بعضهم البعض. ويتضحُ هنا أنه على بني إسرائيلِ الذين تَبِعُوا موسى أن يعيشوا بِسلامٍ مع أنسابِهِم على الحدودِ الشماليَّةِ. وكان فقط في وقتٍ لاحقٍ على إسرائيلِ أن تَنْشُرَ ملكوتَ الله في هذه المنطقةِ أيضاً.

بالإضافة إلى سَرْدِ الأحداثِ حَوْلَ علاقةِ يعقوب بالشعوبِ التي كانت تُقِيمُ في أرضِ الموعدِ وعندَ الحدودِ الشماليَّةِ، يُرَكِّزُ الجزءُ الأكبرُ من سيرةِ حياةِ يعقوب حَوْلَ تعاملاتِهِ مع أخيه عيسو. وكما ذكرنا، تُرَكِّزُ بدايةُ الصراعِ بينَ الأخوينِ والأمتينِ في التكوين ٢٥: ١٩-٣٤ على حقيقةِ كونِ تعاملاتِ يعقوب مع عيسو تُمَهِّدُ لـتعاملاتِ إسرائيلِ مع الأَدوميينِ، الذين أقاموا في سَعير، عندَ أقصى الحدودِ الجنوبيَّةِ لأرضِ الموعد.

وكان لأدوم أهميةٌ خاصةٌ بالنسبةِ للقرءِ الأصليينِ لسفرِ التكوين، لأنهم واجهوا عداةِ الأَدوميينِ بينما كانوا يَتَقَدَّمُونَ بمحاذاةِ الحدودِ الجنوبيَّةِ لأرضِ الموعد. فقد وَجَّهَ اللهُ إسرائيلَ لتُقِيمَ حروباً مع الشعوبِ الأخرى في هذه المنطقة، لكن في سفرِ التثنية ٢: ٤-٦ وسفرِ العدد ٢٠: ١٤-٢١ نُدْرِكُ أنَّ موسى وَجَّهَ إسرائيلَ تحديداً للعيشِ بِسلامٍ وتواضعٍ مع أنسابِهِم، الأَدوميينِ.

ذَكَرَتِ قِصَّةُ يعقوبِ بني إسرائيلِ بأنَّ يعقوبَ نالَ بركةَ اللهِ بالخداغِ. كما أشارتِ إلى أنَّ يعقوبَ تواضعَ أمامَ عيسو. وأكثر من ذلك، تُرَكِّزُ قِصَّةُ يعقوبِ على الانفصالِ الجغرافيِ السلميِ بينَ يعقوبِ وعيسو، والذُرِّيَّةِ المُنْحَدِرَةِ من كلِّ منهما. تُشيرُ هذه الأبعادُ من تقريرِ موسى مباشرةً إلى الطُرُقِ التي على أتباعِ موسى من بني إسرائيلِ أن يَتَّبِعُوها في تعاملِهِم مع الأَدوميينِ. ولم يَحْدُثْ أن وجدتِ إسرائيلُ نفسها في موقعِ الحربِ مع الأَدوميينِ إلا بعدَ وقتٍ من الزمنِ عندما قام الأَدوميونُ بمضايقَةِ إسرائيلِ.

والآن بعد أن تناولنا المعنى الأصليَ لبركاتِ اللهِ من خلالِ إسرائيلِ للشعوبِ الأخرى، لا بدَّ

أن ننتقل إلى التطبيق المعاصر لهذا الموضوع.

التطبيق المعاصر

إن لهذا الموضوع عدّة نتائج على حياتنا، لكن بغرض تبسيط الموضوع سنركّز مرّة جديدة على المراحل الثلاث لملكوت المسيح.

أولاً، في تأسيسه لملكوته، جاء المسيح، ملك إسرائيل، مقدّماً لجميع الناس على الأرض بركات الله. وتُعلنُ نصوصٌ مثل يوحنا ١٢: ٤٧-٤٨، أنّه في مجيئه الأول، أتى المسيح ليغلب إبليس وقوّاته الشيطانية. لكنّه أتى أيضاً حاملاً بشارة السلام لكلّ أمم الأرض. وقد واجه يسوع ورسله وأنبيأؤه المقاومة، لكنهم بصبرٍ قدّموا المصالحة مع الله من خلال إعلان بشارة الإنجيل. كما أنّهم حدّروا، في اليوم الأخير، من دينونة الله التي ستقع على الذين رفضوا الإنجيل.

ثانياً، خلال استمرارية ملكوت المسيح، استمرت بركات الله في الانتشار إلى الأمم من خلال خدمة الكنيسة. ونحن إذ نسير على خطى المسيح ورسله وأنبيائه، نتحرّك ضدّ الأرواح الشريرة التي تستمرّ في تضليل الأمم. وكما تصفُ نصوصٌ مثل ٢ كورنثوس ٥: ٢٠، نحن "سفراء المسيح". نحملُ بشارة السلام والمصالحة مع الله إلى العالم أجمع، مُحذرين إياهم من دينونة الله في اليوم الأخير.

ثالثاً، ينبغي أن نُطبّق تعاملات يعقوب مع الآخرين انطلاقاً من اكتمال ملكوت المسيح. في زمن العهد القديم، غالباً ما كانت بشارة السلام التي حملتها إسرائيل إلى الشعوب الأخرى تُمنع عندما يُعلنُ الله أنّه وقتٌ للدينونة. وبطريقةٍ مشابهة، عندما سيعودُ المسيح في مجده، سيتمّ سحبُ عرض السلام كلياً من الذين قاوموا المسيح وملكوته. وكما تُخبّرنا نصوصٌ مثل سفر الرؤيا ٥: ٩-١٠، في ذلك الوقت، سيقعُ الأشرار تحت دينونة الله، لكن عدداً لا يحصى من البشر من كلّ زوايا الأرض ممّن وضعوا ثقتهم في المسيح سيَدْخلون ملكوته الرحب.

الخاتمة

تناولنا في هذا الدرس، عرض موسى لسيرة حياة الأب يعقوب في سفر التكوين. ورأينا كيف أبدأ موسى في دمج البنية والمحتوى لتقريره، بحيثُ تتركُ سيرة يعقوب أثرها في حياة بني إسرائيل الذين تبعوه إلى أرض الموعد. كما أنّنا ذكرنا كيف أنّ المواضيع الرئيسية التي عرضها موسى حول

نعمة الله لإسرائيل، وولاء إسرائيل لله، وبركات الله لإسرائيل، وبركات الله من خلال إسرائيل، لم تكن إرشاداً عملياً لشعب إسرائيل في زمن موسى فحسب، بل لا زالت تُرشد أتباع المسيح ونحن نسعى إلى خدمة الله في زمننا.

إن سيرة حياة يعقوب هي سيرة رائعة تبعث الأمل في كل من وضعوا ثقتهم في المسيح. فقد ساعدت أولاً قراء موسى الأصليين وهم يواجهون اخفاقاتهم ونجاحاتهم. وكانت دليلاً لتعاملهم مع الشعوب الأخرى، بينما يرتحلون نحو أرض الموعد. وكذلك هي تقوم بشيء من هذا القبيل لي ولك اليوم. ففي سيرة حياة يعقوب، ننتقن أنه لا أحد بعيد عن مُتناول رحمة الله. ولأننا متّحدين بالمسيح، بإمكاننا، رغم اخفاقاتنا العديدة، أن نتعلم من يعقوب كيف نجعل بركات ملكوت الله تمتد إلى العالم حتى مجيء المسيح في المجد.